١٩٤٨ ما يقرب من ١٥٠ ألفاً. ولقد عاش هؤلاء، طوال الثمانية عشر عاماً التالية، تحت وطأة حكم عسكري اسرائيلي قاس في جانب، وفي سيطرة قيادات طائفية واقطاعية وعشائرية متخلفة ثقافياً وغير وطنية سياسياً في جانب ثان (انظر الجدول رقم ١)، وفي ظروف جعلتهم معزولين عن محيطهم العربي ومفعمين بمشاعر الخذلان الناجم عن الأداء السياسي والعسكري والاعلامي الرديء للدول العربية، طوال الفترة ١٩٤٥ ــ ١٩٥٥، (على الأقل) في جانب ثالث. كما عانى فلسطينيو ١٩٤٨ من السياسة الاسرائيلية العليا التي عملت، بقيادة حزب مباي الحاكم عندئذ، وسلف حزب العمل الحالي، على خلق و/أو تعميق الانقسامات الاجتماعية العمودية في اوساطهم والتعامل معهم بوصفهم ينتمون إلى طوائف محددة (سنيّة ودرزية ومسيحية وغير ذلك) أو إلى مجموعات اجتماعية متميزة (بدو وفلاحين وحضر) أو إلى «قوميات» مختلفة (عرب ودروز)[٣]. كما كانت السياسة العليا ذاتها، في عهد كل من دافيد بن ــ غوريون وموشي شاريت وليفي اشكول الذين رئسوا حكومات اسرائيل، في معظم سنوات فترة الحكم العسكري الممتدة حتى العام ١٩٦٦، تتحرك على خطين متداخلين قوامهما:

(١) الترغيب المستند إلى منح الفلسطينيين العرب تراخيص عمل أو تعيينهم في وظائف أو تيسير معاملاتهم،

(٢) الترهيب المتكىء على الأسلحة التي يضعها الحكم العسكري وقانون الطوارىء في ايديهم.

وأخيراً، وفيما يتعلق بموضوعنا الراهن، حرص واضعو السياسة العليا في الكيان الصهيوني على اشراك العرب في الانتخابات الاسرائيلية منذ بدايتها المبكرة لتحقيق ثلاثة أهداف متشابكة مؤداها: «تكريس» صورة اسرائيل «الديموقراطية» أمام العالم، وقطع الطريق على ولادة عمل سياسي عربي سرّي وبعيد عن القنوات السياسية «الشرعية» بحكم ظروف التعسف والاضطهاد التي تحاصر فلسطينيي ١٩٤٨، وتوظيف الأصوات العربية في صبّ الماء في الطاحونة الانتخابية لحزب مباي الحاكم وحرفها عن سقاية الطواحين الانتخابية المختلفة المنافسة سواء تلك الخاصة بالحزب الشيوعي الاسرائيلي المعارض و«المتطرف» يساراً، أم تلك الخاصة بحزب حيروت المعارض والمتطرف يميناً، أم غير هذين من الأحزاب الصهيونية المناهضة لمباي. وفي هذا المجال، لجأ الحزب الحاكم، وغيره، إلى تكتيك قام بموجبه، في انتخابات الكنيست الأول ١٩٤٩، بتشجيع عدد من الرموز البشرية العربية المتعاونة مع اسرائيل واحزابها الصهيونية لتشكيل قوائم «مستقلة» (الجدول رقم ١) خاضوا تحت رايتها معارك الانتخابات الاسرائيلية المختلفة. هذا، مع العلم أن حزب مبام عاد فانفرد عندئذ، منذ انتخابات الكنيست الثاني ١٩٥١، بدمج مرشحه العربي في قائمته الأصلية وليس في لائحة مستقلة (الجدول رقم ٢).

٢ ــ السلوك الانتخابي في المرحلة الأولى[٤]

توزعت الغالبية الساحقة لاصوات الناخبين من فلسطينيي ١٩٤٨، منذ نهاية الخمسينات، بين حزب مباي الحاكم والحزب الشيوعي الاسرائيلي. ففي هذه المرحلة